



الحمد لله الذي نَزَّلَ الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديرًا، والصلوة والسلام على نبينا محمد الذي أرسله ربه شاهدًا ومبشراً ونذيرًا،
وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً متيراً.

أما بعد :

فإن قضاء حوائج الناس له فضل عظيم، وهو من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى؛ ليرفع رصيده من الحسنات، وينال مرضاة الله تعالى في الدنيا والآخرة.

إن قضاء حوائج الناس ينشر المحبة بين أفراد المجتمع، ويؤلف بين قلوب الناس، ومن أجل ذلك أحببت أن أذكر نفسي وطلاب العلم الكرام بفضل إعانته الناس على قضاء حوائجهم.

◆ ◆ ◆ ◆

قضاء حوائج الناس وصية رب العالمين:

قال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النِّبِيلُونَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعُلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77].
قوله: (وافعلوا الخير)، قال عبدالله بن عباس: بصلة الرحم ومكارم الأخلاق.

قوله: (لعلكم تفلحون); أي: لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة؛ (تفسير البغوي، ج 5، ص 401).

إن قضاء حوائج الناس المشروعة من أفضل وسائل فعل الخير.

قضاء حوائج الناس سبيل الحسنات:

حثّنا الله تعالى على السعي في قضاء حوائج الناس؛ لأن ذلك من وسائل التقرب إلى الله تعالى والحصول على الحسنات.

1- قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمول: 20].

• قال الإمام الطبرى رحمه الله: ما تقدموا إليها المؤمنون لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله، أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حج، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله - تجدوه عند الله يوم القيمة في معادكم هو خيرا لكم مما قدمتم في الدنيا، وأعظم منه ثوابا؛ أي: ثوابه أعظم من ذلك الذي قدمتموه لو لم تكونوا قدّموه؛ (تفسير الطبرى، ج 23، ص 398، 399).

2- قال سبحانه: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: 85].

• قال الإمام ابن كثير رحمه الله: من سعى في أمر فترتب عليه خير، كان له نصيب من ذلك.
قوله: (مقيتا)، قال عبدالله بن عباس: أي: حفيظا؛ (تفسير ابن كثير، ج 4، ص 281).

1- روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله عز وجل يقول يوم القيمة: يا ابن آدم، مرضت فلم تدعني - (تذرني) - قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تده، أما علمت أنه لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعتمتك فلم تطعموني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان، فلم تطعمه؟ أما علمت أنه لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك، فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسفاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي)); (مسلم، حديث رقم 2569).

قوله: (يا ابن آدم مرضت فلم تدعني): أراد به مرض عبده، وإنما أضاف إلى نفسه تشريفاً لذلك العبد، فنزله منزلة ذاته سبحانه.

قوله: (كيف أعودك): أي: المرض إنما يكون للمريض العاجز، وأنت القاهر القوي المالك لكل شيء.

قوله: (استطعتمتك): أي: طلبت منك الطعام.

قوله: (كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟!): أي: كيف أطعمك وأنت تطعم جميع الخلائق، وأنت غني على الإطلاق، وإنما العاجز يحتاج إلى الطعام والشراب والإنفاق.

قوله: (لوجدت ذلك عندي): أي: لوجدت ثواب ذلك العمل الصالح عندي؛ فالله تعالى لا يُضيع أجر المحسنين.

قوله: (استسقيتك): أي: طلبت منك الماء؛ (مرقاة المفاتيح؛ علي الهرمي، ج 3، ص 1123).

2- روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه السائل أو طلب إليه حاجة، قال: ((اشفعوا تؤجروا، ويقضى الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء)); (البخاري، حديث رقم 1432، ومسلم، حديث رقم 2627).

معنى الشفاعة:

الشفاعة: التوسط للغير بجلب منفعة مشروعة له، أو دفع مضره عنه؛ (العقيدة الصافية؛ للسيد عبد الغني، ص 184).

• قال الطيبى رحمه الله: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا عرض المحتاج حاجته على، فاشفعوا له إلى؛ فإنكم إن شفعتم

حصل لكم الأجر؛ سواء قبلت شفاعتكم أم لا، ويجري الله على لسان نبيه ما شاء من موجبات قضاء الحاجة أو عدمها، فإن قضيتها أو لم أقضها، فهو بتقدير الله تعالى وقضائه)؛ (فتح الباري؛ لابن حجر العسقلاني، ج 10، ص 451).

● قال الإمام النووي رحمة الله: هذا الحديث فيه استحباب الشفاعة لأصحاب الحاجة المباحة؛ سواء كانت الشفاعة إلى سلطان ووالٍ ونحوهما، أم إلى واحد من الناس، سواء كانت الشفاعة إلى سلطان في كف ظلمٍ أو إسقاط تعزير، أو في تخلص عطاء لمحتج أو نحو ذلك، وأما الشفاعة في الحدود فحرام، وكذا الشفاعة في تميم باطل أو إبطال حق ونحو ذلك، فهي حرام؛ (مسلم بشرح النووي، ج 16، ص 177).

3- روى الشیخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((كل معروف صدقة))؛ (البخاري، حديث رقم 6021، ومسلم، حديث رقم 1005).

قوله: (كل معروف)؛ أي: ما عُرف من جملة الخيرات من عطية مال أو خلق حسنٍ، أو ما عُرف فيه رضا الله من الأقوال والأفعال.

قوله: (صدقه)؛ أي: ثوابه كثواب الصدقة؛ (مرقاة المفاتيح؛ لعلي الهروي، ج 4، ص 1336).

اصطفاء الله للذين يقضون حاجات الناس:

روى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله عباداً اختصهم بالنعم لمنافع العباد، يُقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، فحوّلها إلى غيرهم))؛ حديث حسن؛ (صحیح الجامع للألبانی، حديث رقم 2164).

قوله: (لمنافع العباد)؛ أي: لأجل منافع الناس.

قوله: (يُقرهم فيها ما بذلوها)؛ أي: مدة دوام إعطائهم منها للمستحق.

قوله: (نزعها منهم)؛ أي: نزع منهم النعمة لمنعهم الإعطاء للمستحق.

قوله: (فحولها إلى غيرهم)؛ أي: حَوَّلَ اللَّهُ تَعَالَى النِّعْمَ إِلَى غَيْرِهِمْ؛ ليقوموا بها كما يجب؛ (فيض القدير؛ لعبدالرؤوف المناوي، ج 2، ص 478).

● قال الإمام عبد الرؤوف المناوي رحمة الله: العاقل الحازم مَن يستديم النعمة، ويداوم على الشكر والإفضال منها على عباد الله تعالى، واكتساب ما يفوز به في الآخرة؛ قال سبحانه: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص: 77]؛ (فيض القدير؛ لعبدالرؤوف المناوي، ج 2، ص 478).

الله تعالى يحب الذين يقضون حاجات الناس:

روى ابن أبي الدنيا والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس))؛ حديث حسن؛ (صحیح الجامع للألبانی، حديث رقم 176).

المؤمنون الذين يقضون الحاجات مفاتيح الخير:

روى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن من الناس مفاتيح للخير، مغاليل للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليل للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه))؛ حديث حسن؛ (صحیح ابن ماجه للألبانی، حديث رقم 194).

قوله: (إن من الناس مفاتيح للخير)؛ أي: إن الله تعالى أجرى على أيديهم فتح أبواب الخير؛ كالعلم والصلاح على الناس، حتى كأنه ملّكهم مفاتيح الخير ووضعها في أيديهم؛ (حاشية السندي على سنن ابن ماجه، ص 104).

أفضل المؤمنين الذين يقضون حاجات الناس:

روى الطبراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن يَأْلِفُ وَيُؤْلِفُ، ولا

خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفهم للناس)); حديث حسن؛ (صحيح الجامع للألباني، حديث رقم 6662).

قوله: (ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف): لأن التالف سبب الاعتصام بالله وبحبله، وبه يحصل الاجتماع بين المسلمين، وبضده يحصل التفرقة بهم؛ (مرقة المفاتيح؛ لعلي الهروي، ج 8، ص 3129).

قوله: (أنفعمهم للناس): أي: بالإحسان إليهم بماله وجاهه وعلمه؛ لأن الخلق كلهم عباد الله، وأحبهم إليه أنفعمهم لعياله؛ (التيسيير بشرح الجامع الصغير؛ لعبدالرؤوف المناوي، ج 1، ص 528).

الله في عون الذين يقضون حوائج الناس:

1- روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من نفس عن مؤمن من كربلة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربلة من كرب يوم القيمة، ومن يسر على معاشر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)); (مسلم، حديث رقم 2699).

قوله: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه): فيه تنبية على فضيلة عون الأخ على أمره، وإشارة إلى أن المكافأة عليها بجنسها من العناية الإلهية؛ سواء كان بقلبه أو بدمنه، أو بهما لدفع المضار، أو جذب المنافع؛ إذ الكل عون؛ (مرقة المفاتيح؛ لعلي الهروي، ج 7، ص 3104).

3- روى الشیخان عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)); (البخاري، حديث رقم 2442، ومسلم، حديث رقم 2580). قوله: (ولا يسلمه): أي: لا يخذله، ولا يتركه مع من يؤذيه، ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه؛ (فتح الباري؛ لابن حجر العسقلاني، ج 5، ص 97).

قوله: (كان في حاجة أخيه): أي: سعى في قضاء حاجة أخيه.

قوله: (كان الله في حاجته): أي: أعانه الله تعالى وسهّل له قضاء حاجته؛ (فتح الباري؛ لابن حجر العسقلاني، ج 5، ص 97).

قضاء حوائج الناس من أبواب التعاون على الخير:

يعتبر التعاون على الخير بين أفراد المجتمع ضرورة إنسانية واجتماعية، لا يستطيع الناس الاستغناء عنها؛ قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: 2].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: يأمر تعالى عباده المؤمنين بالتعاونة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهياهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المأثم والمحارم؛ (تفسير ابن كثير، ج 5، ص 18).

• روى مسلم عن أبي سعيد الخدري، قال: بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم، إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من كان معه فضلٌ ظهرٌ، فليُعْدَ به على من لا ظهر - (أي دابة) - له، ومن كان له فضل من زاد، فليُعْدَ به على من لا زاد له)); (مسلم، حديث رقم 1728).

قوله: (يصرف بصره يميناً وشمالاً): أي: متعرضاً لشيء يدفع به حاجته.

قوله: (من كان معه فضل ظهر): أي: زيادة ما يركب على ظهره من الدواب.

قال الإمام النووي رحمه الله: في هذا الحديث الحث على الصدقه والجود والمواساة، والإحسان إلى الرفقه والأصحاب، والاعتناء بمصالح الأصحاب؛ (مسلم بشرح النووي، ج 6، ص 275).

قضاء حوائج الناس من وسائل وحدة المجتمع:

روى الشیخان عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه)); (البخاري، حديث رقم 2446، ومسلم حديث رقم 2585).

قوله: (كالبنيان): أي: البيت المبني.

قوله: (يشد بعضه); أي: بعض البناء يقوّي بعضه.

- قال الإمام علي الهروي رحمه الله: هذا الحديث معناه أن المؤمن لا يتقوى في أمر دينه أو دنياه إلا بمعونة أخيه، كما أن بعض البناء يقوّي بعضه؛ (مرقة المفاتيح؛ لعلي الهروي، ج 7، ص 3102).

قضاء حوائج الناس سبيل المحبة بين المسلمين:

روى مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد - (أي دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في ذلك) - بالسهر والحمى)); (مسلم، حديث رقم 2586).

- قال الإمام النووي رحمه الله: هذا الحديث صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه؛ (مسلم بشرح النووي، ج 8، ص 385).

قضاء حوائج الناس أمان للمسلم يوم القيمة:

1- روى ابن أبي الدنيا والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربلة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي لي في حاجة أحب إلي من أن اعتكف في هذا المسجد - (يعني مسجد المدينة) - شهراً، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله عز وجل قلبه أمانتاً يوم القيمة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى أثبها له، أثبته الله عز وجل قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل)); حديث حسن؛ (صحيح الجامع للألباني، حديث رقم 176).

في هذا الحديث وأشار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى فضل الذين يقضون حوائج الناس، ويعم نفعهم لغيرهم بأنهم آمنون من عذاب الله تعالى يوم القيمة، ولا سيما أنهم حققوا صفة الإيمان الحق، فالذي يسعى مخلصاً لله تعالى في قضاء حاجة أخيه، قد أحب لغيره ما يحب لنفسه، وهكذا يتحقق الإيمان.

- روى الشیخان عن أنس بن مالک رضي الله عنه عن النبی صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)); (البخاري، حديث رقم 13، ومسلم، حديث رقم 45).
قوله: (لا يؤمن); أي: إيماناً كاملاً.

2- روى مسلم عن أبي اليسر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من أنظر معسراً أو وضع عنه، أظلَّه الله في ظله)); (مسلم، حديث رقم 3006).
قوله: (من أنظر معسراً); أي: أمهل مدینونا فقيراً.
قوله: (وضع عنه); أي: قليلاً أو كثيراً من الدين.

قوله: (أظلَّه الله في ظله); أي: أوقفه الله تعالى في ظل عرشه؛ (مرقة المفاتيح؛ لعلي الهروي، ج 5، ص 1954).
التحذير من عدم قضاء حوائج الناس مع الاستطاعة:

روى الترمذی عن عمرو بن مرة الجھنی رضي الله عنه أنه قال لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة، إلا أغلق الله أبواب السماء دون حلتها وحاجتها ومسكتها)), فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس؛ حديث صحيح؛ (صحيح الترمذی للألبانی، حديث رقم 1071).

قوله: (يغلق بابه دون ذوي الحاجة); أي: يحتجب ويمتنع من الخروج عند احتياجهم إليه.
قوله: (الخلة); أي: الفقر.

قوله: (إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكته); أي: أبعده ومنعه مما يبتغيه من الأمور الدينية أو الدنيوية، فلا يجد سبيلاً إلى حاجة من حاجاته الضرورية؛ (تحفة الأحوذى؛ للمباركفورى، ج 4، ص 468).

أقوال السلف في قضاء حوائج الناس:

سوف نذكر بعض أقوال سلفنا الصالح في قضاء حوائج الناس:

- 1- قال حكيم بن حزام رضي الله عنه: "ما أصبحت وليس ببابي صاحب حاجة، إلا علمت أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها"; (سير أعلام النبلاء؛ للذهبي، ج 3، ص 51).
- 2- قال عطاء بن أبي رباح رحمه الله: "تفقدوا إخوانكم بعد ثلاثة، فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم، أو كانوا نسوا ذكركم؟"؛ (إحياء علوم الدين؛ للغزالى، ج 2، ص 175).
- 3- جاء رجل إلى الحسن بن سهل رحمه الله يستشفع به في حاجة فقضاهما، فأقبل الرجل يشكره، فقال له الحسن بن سهل: "علام تشكنا ونحن نرى أن للجاه زكاة كما أن للمال زكاة؟"؛ (الآداب الشرعية؛ لابن مفلح الحنبلي، ج 2، ص 176).
- 4- قال الحسن البصري رحمه الله: "لأن أقضى لأخ لي حاجة أحب إلي من أن اعتكف شهرين"؛ (قضاء الحاجة؛ لابن أبي الدنيا، ص 48، رقم 38).
- 5- قال عبيد الله بن العباس رحمه الله لابن أخيه: "إن أفضل العطية ما أعطيت الرجل قبل المسألة، فإذا سألك فإِنما تعطيه ثمن وجهه حين بذلك إليك"؛ (قضاء الحاجة؛ لابن أبي الدنيا، ص 49، رقم 39).
- 6- قال عبدالله بن جعفر رحمه الله: "ليس الجواب الذي يعطيك بعد المسألة، ولكن الجواب الذي يبتدئ؛ لأن ما يبذلك من وجهه أشد عليه مما يعطي عليه"؛ (قضاء الحاجة؛ لابن أبي الدنيا، ص 50، رقم 42).
- 7- قال طاوس بن كيسان رحمه الله: "إذا أنعم الله على عبد نعمة، ثم جعل إليه حاجات الناس؛ فإن احتمل وصبر، وإن عرض تلك النعمة للزوال"؛ (قضاء الحاجة؛ لابن أبي الدنيا، ص 56، رقم 50).
- 8- قال مطرف بن عبدالله بن الشخير رحمه الله لصاحب له: "إذا كانت لك إلى حاجة، فلا تكلمني فيها، ولكن اكتبها في رقعة، ثم ارفعها إلي، فإني أكره أن أرى في وجهك ذل المسألة"؛ (القناعة والتعفف؛ لابن أبي الدنيا، ص 31).
- 9- قال أسماء بن خارجة رحمه الله: ما شتمت أحداً قط، ولا ردت سائلاً قط؛ لأنه إنما كان يسألني أحد رجلين: إما كريم أصابته خصاصة وخاصة، فأنا أحق من سدّ من خلته، وأعانه على حاجته، وإما لئيم أُفدي عرضي منه، وإنما يشتمني أحد رجلين: إما كريم كانت منه زلة أو هفوة، فأنا أحق من غفرها، وأخذ بالفضل عليه فيها، وإما لئيم فلم أكن لأجعل عرضي إليه"؛ (قضاء الحاجة؛ لابن أبي الدنيا، ص 61، رقم 61).
- 10- قال محمد بن واسع رحمه الله: "ما ردت أحداً عن حاجة أقدر على قضائها، ولو كان فيها ذهاب مالي"؛ (قضاء الحاجة؛ لابن أبي الدنيا، ص 64، رقم 67).
- 11- قال محمد بن النضر الحارثي رحمه الله: أول المروءة طلاقة الوجه، والثاني التودد إلى الناس، والثالث قضاء الحاجة، ومن فاته حسب نفسه، لم ينفعه حسب أبيه (يريد الدين)؛ (المجالسة وجواهر العلم؛ لأبي بكر الدينوري، ج 3، ص 189، رقم 828).
- 12- قال محمد بن المنكدر رحمه الله: "لم يبق من لذة الدنيا إلا قضاء حاجات الإخوان"؛ (آداب الصحابة؛ لأبي عبد الرحمن السلمي، ص 102، رقم 150).
- 13- قال عثمان بن واقد العمري رحمه الله: "قيل لمحمد بن المنكدر: أى الدنيا أعجب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن"؛ (قضاء الحاجة؛ لابن أبي الدنيا، ص 44، رقم 33).
- 14- قال علي بن الحسن بن شقيق رحمه الله: سمعت عبدالله بن المبارك رحمه الله، وسألته رجل: يا أبا عبد الرحمن، قرحة

خرجت في رُكْبَتِي مِنْذْ سَبْعَ سَنِينَ، وَقَدْ عَالَجْتُ بِأَنْوَاعِ الْعَلاجِ، وَسَأَلْتُ الْأَطْبَاءَ فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ مَوْضِعًا يَحْتَاجُ إِلَى الْمَاءِ فَاحْفَرْ هَنَاكَ بَئْرًا، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَنْبَعْ هَنَاكَ عَيْنٌ، وَيَمْسِكَ عَنْكَ الدَّمَ فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرِئَ؛ (أَيْ: شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى)؛ (شَعْبُ الْإِيمَانِ؛ لِلْبَيْهَقِيِّ، جَ 5، صَ 69، رَقْمُ 3109).

قضاء حوائج الناس في واحة الشعراء:

1- قال أبو العطاية رحمه الله:

اَقْضِ الْحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْ
تَ وَكْنُ لِهِمْ أَخِيكَ فَارِجُ
فَلَخِيرُ أَيَامِ الْفَتِي
يَوْمُ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجُ

(الآداب الشرعية؛ لابن مفلح الحنبلي، ج 2، ص 178).

2- قال الحسن بن سهل رحمه الله:

فُرِضَتْ عَلَيَّ زَكَاةً مَا مَلَكتِ يَدِي
وَزَكَاةً جَاهِيًّا أَنْ أَعْيُنَ وَأَشْفَعَا
فَإِذَا مَلَكتَ فَجُدْ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ
فَاجْهَدْ بِوَسْعِكَ كَلَّهُ أَنْ تَنْفَعَا

(الآداب الشرعية؛ لابن مفلح الحنبلي، ج 2، ص 176).

3- قال الشاعر:

لَا تَقْطَعُنَّ يَدَ الإِحْسَانِ عَنْ أَحَدٍ
مَا دَمْتَ تَقْدِرُ وَالْأَيَامُ تَارِاتُ
فَاشْكُرْ فَضْيَلَةً صُنْعَ اللَّهِ إِذْ جَعَلَتْ
إِلَيْكَ لَا لَكَ عِنْدَ النَّاسِ حَاجَاتُ

(روض الأخيار؛ محمد بن قاسم الأماسي، ص 355).

4- قال الشاعر:

قُلْ لِي بِرِبِّكَ مَاذَا يَنْفُعُ الْمَالُ
إِنْ لَمْ يُزَيِّنْهُ إِحْسَانُ وَإِفْضَالُ
الْمَالُ كَالْمَاءِ إِنْ تَحْبِسْ سَوَاقِيَهُ
يَأْسُنْ وَإِنْ يَجْرِيَعَذْبُ مِنْهُ سَلَسَالُ
تَحْيَا عَلَى الْمَاءِ أَغْرَاسُ الْرِّيَاضِ كَمَا

تَحْيَا عَلَى الْمَالِ أَرْوَاحُ وَآمَالُ
إِنَّ الثَّرَاءَ إِذَا حِيلَتْ مَوَارِدُهُ
دُونَ الْفَقِيرِ فَخَيْرٌ مِنْهُ إِقْلَالُ
اللَّهُ أَعْطَاكَ فَابْدُلْ مِنْ عَطَيَتْهُ
فَالْمَالُ عَارِيَّ وَالْعُمُرُ رَحَّالٌ

(موارد الظمان لدروس الزمان؛ لعبدالعزيز السلمان، ج 2، ص 186).

نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة في قضاء حوائج الناس:

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى، والقدوة الحسنة لكل مسلم ي يريد أن يصل إلى كمال الأخلاق.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

قال الإمام ابن كثير رحمة الله: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله؛ (تفسير ابن كثير، ج 6، ص 391).

روى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني)); (أي: الأسيء)؛ (البخاري، حديث رقم 5649).

قوله: (أطعموا الجائع)؛ أي: قدموه له من الطعام ما يشبعه، وينذهب عنه الجوع؛ لأن الإسلام دين الرحمة والتعاطف، ومن أهم ما يقتضيه ذلك إطعام الفقير الجائع.

قوله: (وعودوا المريض)؛ أي: قوموا بزيارة المريض.

قوله: (وفكوا العاني)؛ أي: خلصوا الأسير من يد الأعداء، وكذلك المحبوس ظلماً؛ (منار القاري؛ حمزة قاسم، ج 5، ص 197، 198).

سوف نذكر صوراً من حرص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على قضاء حوائج الناس:

1- روى الشیخان عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: قالت خديجة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم: ((والله ما يُخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكتب المعذوم (الفقير)، وتقرى الضيف، وتعين على نواب الحق))؛ (البخاري، حديث رقم 3، ومسلم، حديث رقم 160).

• (لتصل الرحم)؛ أي: تحسن إلى الأقارب وتواسيهم.

• (وتحمل الكل)؛ أي: تساعد الضعيف واليتيم وغيرهما.

• (وتكتب المعذوم)؛ أي: تعطي المال تبرعاً للمحتاج.

• (وتقرى الضيف)؛ أي: تقدم الطعام والشراب للضيف.

• (نوائب الحق)؛ أي: الحوادث الجارية على الخلق بتقدير الله تعالى.

2- روى البخاري عن أنس بن مالك، قال: "كانت الأمة - (الجارية المملوكة) - من إماء أهل المدينة، لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتنطلق به حيث شاءت"؛ (البخاري، حديث رقم 6072).

قوله: (فتنطلق به حيث شاءت)؛ أي: يذهب النبي صلى الله عليه وسلم مع الجارية إلى حيث شاءت من الأمكنة، ولو كانت حاجة الجارية خارج المدينة، والتمسك منه صلى الله عليه وسلم مساعدتها في قضاء تلك الحاجة، لساعدها النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، وهذا الحديث دليل على مزيد تواضعه وبراءته صلى الله عليه وسلم من جميع أنواع الكبر؛ (فتح الباري؛ لابن حجر العسقلاني، ج 10، ص 490).

3- روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن امرأةً كان في عقلها شيء - (أي من الخفة) - فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجةً، فقال: ((يا أم فلان، انظري أي السكك شئت، حتى أقضني لك حاجتك))، فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها؛ (مسلم، حديث رقم 2326).

قال الإمام النووي رحمة الله: هذا الحديث فيه دليل على صبره صلى الله عليه وسلم على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين، وإجابته من سأله حاجةً؛ (مسلم بشرح النووي، ج 15، ص 82).

4- روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن زوج بريدة كان عبداً يقال له: مغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعباس: ((يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريدة، ومن

بغض بريءة مغيثاً)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لو راجعته)) - (أي: رجعت إلينه) - قالت: يا رسول الله، تأمرني؟ قال: ((إنما أنا أأشفع)) - (أي: أتوسط) - قالت: لا حاجة لي فيه؛ (البخاري، حديث رقم 5283). ● قوله: ((إنما أنا أأشفع))؛ أي: أقول ذلك على سبيل الشفاعة له، لا على سبيل الحتم عليك؛ (فتح الباري؛ ابن حجر العسقلاني، ج 9، ص 409).

5- روى الشیخان عن كعب رضي الله عنه أنه تقاضى ابن أبي حدرد ديناً كان له عليه في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته، فخرج إليهما حتى كشف سجف حجرته، فنادى: ((يا كعب))، قال: لبيك يا رسول الله، قال: ((ضع من دينك هذا، فأواماً - (وأشار) - إليه أي الشطر - (النصف)) - قال: لقد فعلت يا رسول الله، قال: ((قُمْ فاقضِيه))؛ (البخاري، حديث رقم 2710، ومسلم، حديث رقم 1558). قوله: (تقاضى ديناً كان له عليه)؛ أي: طلب كعب قضاء الدين الذي كان له على ابن أبي حدرد. قوله: (سجف حجرته)؛ أي: سترتها.

قوله: (لقد فعلت)؛ أي: امتثلت أمرك يا رسول الله.

قوله: (قم فاقضِيه)؛ أي: أعطِه النصف الثاني من الدين.

● قال الطيبی رحمه الله: في الحديث جواز المطالبة بالدين في المسجد والشفاعة إلى صاحب الحق، والإصلاح بين الخصوم، وحسن التوسط بينهم، وقبول الشفاعة في غير معصية، وجواز الاعتماد على الإشارة، وإقامتها مقام القول؛ (مرقة المفاتيح؛ علي الهروي، ج 5، ص 1956).

6- روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن أهل قباء اقتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: ((اذهبوا بنا نصلح بينهم))؛ (البخاري، حديث رقم 2693).

قوله: (اقتتلوا)؛ أي: وقعت بينهم خصومة شديدة أدت إلى الاشتباك بالأيدي والضرب بالحجارة، حتى وصلت أخبارهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة؛ (منار القاري شرح مختصر البخاري؛ حمزة قاسم، ج 4، ص 53).

قال الإمام أحمد بن محمد القسطلاني رحمه الله: في الحديث دليل على خروج الإمام في أصحابه للإصلاح بين الناس عند شدة تنازعهم؛ (إرشاد الساري؛ للقسطلاني، ج 4، ص 419).

يعتبر الإصلاح بين المتخاصمين من أفضل وسائل قضاء حوائج الناس؛ لأنه يترتب عليه التأليف بين قلوب الناس، وإخماد نار الفتنة.

7- روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن أباه توفى وترك عليه ثلاثين وسقاً - (نوع من الأوزان) - لرجل من اليهود، فاستنتظره جابر - (طلب منه التأخير) - فأبى - (رفض) - أن يُؤخره - (أي يؤخره) - فكلم جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع له إليه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلم اليهودي ليأخذ ثمن نخله بالذى له، فأبى فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل، فمشى فيها، ثم قال لجابر: ((جَدَّ لَهُ، فَأَوْفِ لَهُ الذِّي لَهُ))، فجده بعدما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأوفاه ثلاثين وسقاً، وفضلت له سبعة عشر وسقاً، فجاء جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُخبره بالذى كان، فوجده يصلى العصر، فلما انصرف أخربه بالفضل - (الزيادة في الثمن) - فقال: ((أخرب ذلك ابن الخطاب))، فذهب جابر إلى عمر فأخبره، فقال له عمر: لقد علمت حين مشى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُباركت فيها؛ (البخاري، حديث رقم 2396).

قوله: (ليأخذ كل الثمن بالذى له)؛ أي: ليأخذ كل الثمن في مقابلة الدين مصالحة.

قوله (جَدَّ لَهُ)؛ أي: أقطع له الثمن.

قال الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله: في الحديث من الفوائد: جواز الاستئثار في الدين الحال، وجواز تأخير الغريم

لمصلحة المال الذي يُوفّى منه، وفيه مشي الإمام في حوائج رعيته وشفاعته عند بعضهم في بعض؛ (فتح الباري؛ لابن حجر العسقلاني، ج 5، ص 595).

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله ذخراً لي عنده يوم القيمة: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88، 89]، وأسأل الله سبحانه أن ينفع به طلاب العلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

الألوكة

المصادر: